من وحي الصحراء

للأديب أحمد فتحي

ظَمِئْتُ ، عَلَى قُرْبِي ، مِنَ النَّهْلِ وَالعَلِّ
فَهَلْ عَافَ عَذْبَ الوِرْدِ ظَمآنُ من قَبْلِي ؟!
وَضِقْتُ بِلَيْلِي ، ساهداً ، وَلَوَ أنني
تعَزَّيْتُ لم أَشْكُ التَّسَهُّدَ في ليلي !
وغشّتْ حَياتي وَحْشَةٌ ليسَ يَنْتَهِي
مَداها ، وَدُوني سائرُ الصَّحْبِ وَالأَهْلِ
وأقبلْتُ ، أشْكُو للصَّحَارَى لواعِجِي
وآنَسُ بالإخْلادِ في كَنَفِ السَّهْلِ
وقلتُ أُحِبُّ البيدَ مِلءَ سكونِها
وأسْمَعُ هَمْسَ الريحِ في أذنِ الرمْلِ
تُقَبِّلُهَا طَوْرًا ، وطوراً تُرِيدها
تَنَقَّلُ كالحسناءِ رِجْلاً إلى رِجلِ
وأُبْصِرُ بالشمسِ التي مَلَّتِ النَّوَى
إلى الغَرْبِ تمشي مِشْيَةَ الواهِنِ الكَهْلِ
أراها ، حريقاً أَضْرَمَ اللهُ نارَهُ
لتأكلَ آجالَ السنينَ عَلَى مَهْلِ !
أُحِسُّ لظاها في ضُلوعي وتَنْثَنِي
ويبقى اللَّظى يُغْرِي مآقِيَّ بالهَمْلِ

* * *

تَحِيَّةَ رُوحي لا عَدِمْتِ عواذلا !
فماذا يكونُ الحبُّ ، إنْ يَخْلُ من عَذْلِ ؟
وهل كانَ يُغْرِي الشاربينَ بِرَاحِهِمْ
سِوَى أنَّهُمْ لَيْسُوا مِنَ الرَّاحِ في حِلِّ ؟!
وما أنا والعُذَّالُ ، يمضي حديثُهُمْ
وَيَبْقَى حديثُ الحبِّ في قولِهِ الفصلِ ؟!
أصيخِي إليَّ السَّمْعَ ، لا تتعَجَّلِي
بناتِ خيالي بل دَعِيها على رِسْلِ !
ولا تحسبي نجوايَ من عَبَثِ الهوى
ولَغْوِ حديثِ الشِّعْرِ ، في الجِدِّ والهَزْلِ
فَرَرْتُ من الدنيا ومِنْكِ تَشَوُّقاً
إليكِ ولِلدنيا فيا للهوى النُّبْلِ
أُطَهِّرُ نفسي بالبِعَادِ ، لَعَلَّهُ
يُعَلِّمُنِي صَبْري على الهَجْرِ وَالذُّلِّ
وما الحبُّ إلاّ لهفةٌ ، وَتَصَبُّرٌ
وَطُغْيَانُ تَبْرِيحٍ على عاشقٍ مِثْلِي
سَمَوْتُ بأفكاري إليكِ ولم أَزَلْ
نَجِيَّكِ في أحلامِ يقظانَ بالوَصْلِ
وأَسْرَى خَيالي طائفاً بكِ باسماً
كما تَبْسِمُ الأزهارُ في الفجرِ للطَّلِّ
وظَلَّ يُنادِي لطفَ حُلْمِكِ في الكرى
إلى سابقاتِ العَهْدِ ، بالوصلِ والشَّمْلِ
فهل لَقِيَ البَرَّ السَّمِيعَ نِدَاؤُهُ
تُرَى ، أم يعودُ الطيفُ بالمنعِ والخَذْلِ ؟!

* * *

تحيةَ رُوحي قد رَمَتْ بي يدُ النَّوَى
بخيلاً من البَيْدَاءِ يجزلُ في البخلِ
تَلَفَّتُّ حَوْلِي ، لم أَجِدْ لِيَ مُؤْنِساً
وقد كان كلُّ الأُنْسِ لو شِئْتُ مِنْ حَوْلِي
وأصْغَيْتُ للصحراء يَنْشُدُ مِسْمَعِي
حديثاً ، ومَنْ لي بالحديث بِهَا ، مَنْ لي ؟!
هُنَا الصَّمْتُ حَرَّانُ الجوانحِ مِثْلَمَا
يُصَعِّدُ صَبٌّ زَفْرَةَ الشوقِ للْوَصْلِ
هنا مَلْعَبُ الذِّكرى وميدانُها الذي
تَشَعَّبَ بالعُشَّاقِ ، سُبْلاً إلى سُبْلِ
ومَسْرَحُ أفكارٍ تساءلُ عن هَوًى
بعيدِ المرامي لا قريبٍ ولا سَهْلِ
ومَهْبِطُ إيحاءٍ ومَذْرَفُ أَدْمُعٍ
تَحَيَّرْنَ بين الكِبْرِ في العَيْنِ والذُّلِّ
ومَعْبَدُ حُسْنٍ قد تَحَكَّمَ في الورى
قضاءً جَرَى بالظلمِ حيناً وبالعدلِ
ورَوْضٌ مِنَ الأوهامِ لاذَتْ بِظِلِّهِ
قوافِلُ في الرَّمْضاءِ ، تُحْدَى إلى الظِّلِّ
ودُنيا من الحِرْمَانِ ضجَّ ضَجِيجُها
تَصَايَحُ بالزَّمْرِ الطَّرُوبِ وَبالطَّبْلِ !!

* * *

تَحِيَّةَ رُوحي يا مُناها وسُؤْلَهَا
هنيئاً لرُوحي بالأماني والسُّؤْلِ
تَرَيْنَ شبابي ملءَ عَيْنَيْكِ ناضراً
يُغَنِّي كما تشدو الطيورُ على النَّهْلِ